**الأدب الأندلسي /المرحلة الثّالثة" الدّراسة المسائية أستاذ المادّة الدّكتور قصي الحسينيِّ 1437ـ1438هـ /2016ــ 2017م**

**الزُّهد والتَّصوف في الشِّعر الأندلسي**

**الزُّهد في اللغة : الرغبة عن الشيء ، خُصص بما يكون الرغبة فيه عن الدنيا .**

**الزُّهد في الاصطلاح : ترك المباح المحبوب المقدور عليه لأجل الله تعالى ، فتارك المحظورات لا يُسمّى زاهداً ، وتارك ما لا يؤبه به لا يّسمّى زاهداً ، وتركه على سبيل السخاء والفتوة ، واستمالة القلوب في الثناء لا يكون زاهداً ، إذ الذكر والثناء وميل القلوب ألذ وأحب من المال ، ومن ترك ما لا يقدر عليه لا يكون زاهداً ، ودراسة الزّهد والتصوف في الأندلس ترتبط بأصولها الأولى في المشرق على نحو ما يتصل الفكر الأندلسي بجملته بأخيه المشرقي ، فدراسة الزُّهد والتصوف لا تكون بمعزل عن تياراته في المشرق .**

**لقد اختلف الدارسون في أصل مفهوم " التَّصوف " ، فمنهم من رأى أنّه من الصفاء ، والصفو ؛ لصفاء علاقاتهم بالله تعالى وصفو قلوبهم ، وقيل : من الصُّفة ، وأهلها زهاد المهاجرين والأنصار في المسجد النبوي ، وإن كانت النسبة إليهم تأتي على " الصّفي " .**

**وقيل : إنّها من الصّف الأول ؛ لصلاتهم فيه ، أو الصّفة ؛ لاتصافهم بالأخلاق الحميدة ، ومن الكلمة اليونانية " صوفيا " وتعني الحكمة ، والأرجح أن التصوف مصدر الفعل الخماسي "تصوف" ، الذي هو من الصّوف .**

**ويتشابه مفهوما الزُّهد والتصوف أحياناً ، ويتجلى الفرق بينهما في بُعد زمني ، ومن ذلك يقول ابن خلدون : (( وقد كان ذلك " الزُّهد " فاشياً في الصحابة والسّلف ، ولمّا عمّ الإقبال على الدنيا في القرن الثاني ، وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا ، اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصّوفية أو المتصوفة ، ويرى أحد الباحثين أن التصوف أسمى درجات الزُّهد ، وهو الزُّهد في أسمى درجاته )) .**

**إنّ التصوف الإسلامي نتاج تلقائي منفصل عن كل العوامل الدينية والفلسفية الأجنبية ، والاتفاق الحاصل بين عقيدتين لا يعني أنّ إحداهما أخذت من الأخرى ، بل إن كليهما تكونت نتيجة لسبب واحد ، مع ان الاتفاق ليس كاملاً ، بل جزئياً .**

**ويرى المستشرق الألماني " شاخت " من النظريات التي قيلت في اقتباس المسلمين التصوف من أصول أجنبية أنها مجرد افتراضات .**

**لقد ولد الزُّهد الأندلسي في أحضان الثورة على الحكم الربضي ، إذ كان الاتقياء ينظمون أشعار الزُّهد ، ويتغنون بها في الليل ، ويضمنونها التعريض به فضلاً عن عوامل بيئية ذووية ، منها الحياة اللاهية في المدن والانقياد لدواعي التقوى في النّفس أيام الشيخوخة ، وقوة التيار المشرقي ، وذيوع أشعار أبي العتاهية ، ويمكننا أن نعدّ مذهب "ابن مسرّة" عاملاً من عوامل استقواء حركة الزُّهد في الأندلس .**

**يقف الدارس أمام عدد كبير من الكتب والمصنفات التي يتّضح منها أن هذا الاتجاه أصيل في الأندلس ، ولم يقتصر الأمر في حركة الزُّهد أنّها عند الرجال ، بل تعدّاه إلى النساء ، إذ تأتي أسماؤهن بكثرة في كتب التراجم الأندلسية ، ولا سيما في كتاب الصلة ، لابن بشكوال ، والتكملة ، لابن الأبّار ، ويذكر المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال أن نساء ا لأمراء " كل واحدة منهن أقامت في قرطبة مسجداً وسبيلاً يحمل اسمها " .**

**محمّد بن علي ابن عربي الأندلسي**

**558 ـ 638هـ / 1164 ـ 1240م**

**محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي ، أحد أشهر**[**المتصوفين**](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%B5%D9%88%D9%81)**لقبه أتباعه وغيرهم من**[**الصوفية**](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%A9)**"بالشيخ الأكبر" ، ولذا ينسب إليه**[**الطريقة الأكبرية**](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D9%82%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%83%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%A9)[**الصوفية**](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%A9)**.**

**ولد في مدينة** [**مرسية**](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B1%D8%B3%D9%8A%D8%A9)**في**[**الأندلس**](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AF%D9%84%D8%B3)**في شهر**[**رمضان**](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%85%D8%B6%D8%A7%D9%86)**الكريم عام**[**558 هـ**](http://ar.wikipedia.org/wiki/558_%D9%87%D9%80) **الموافق**[**1164م**](http://ar.wikipedia.org/wiki/1164)**، وتوفي في**[**دمشق**](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%85%D8%B4%D9%82)**عام**[**638هـ**](http://ar.wikipedia.org/wiki/638%D9%87%D9%80)**الموافق**[**1240م**](http://ar.wikipedia.org/wiki/1240) **، ودفن في سفح**[**جبل قاسيون**](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D8%A8%D9%84_%D9%82%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D9%88%D9%86) **.**

**على أن ابن عربي قد ذهب مذهباً عجيباً في موضوع الذكر لم يسبقه إليه أحد من قبل ، فقد اعتبر أن وجود الحق في القلب يجب أن يكون دائم الحضور، ومن ثم فإن الذكر إنما يكون علامة النقص والغفلة ، فأن تذكّرَ شيئاً فهذا يعني أنك كنت قد نسيته ثم تذكرته! لذلك فهو يجعل الذكر من علامات النقص والنفاق، وفي ذلك نظم الأبيات التالية، المتضمنة في كتابه "وسائل السائل"**

**فدع الذكر والتسبيح إن كنت عاشقا        فليس يديم الذكر إلا المنافق**

**فإذا كان من تهواه في القلب حاضرا       وأنت تديم الذكر كنت منافقا**

**بــذكــر الله  تحتجب الذنوب              وتحتجـب البصائــر والقلــوب**

**وترك الذكر أفضل كل شيء               فشمس الذات ليس لها غروب"**

**شعر المديح النّبوي في الأدب العربي**

**: 1 مفهوم المديح النبوي**

**المديح النبوي : هو ذلك الشعر الذي ينصب على مدح النبي (ص وآله) بتعداد صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول (ص وآله)، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية ونظم سيرته شعرا والإشادة بغزواته وصفاته المثلى والصلاة عليه تقديرا وتعظيما.**

**وۥيظهر الشاعر المادح في هذا النوع من الشعر الديني تقصيره في أداء واجباته الدينية والدنيوية، ويذكر عيوبه وزلاته المشينة وكثرة ذنوبه في الدنيا، مناجيا ًالله بصدق وخوف مستعطفا إياه طالبا منه التوبة والمغفرة. وينتقل بعد ذلك إلى الرسول (ص وآله) طامعاً في وساطته وشفاعته يوم القيامة ، وغالباً ما يتداخل المديح النبوي مع قصائد التصوف ، وقصائد المولد النبوي التي تسمى بـ(المولّديات).**

**وتعرّف "المدائح النّبوية" كما يقول الدكتور زكي مبارك بأنها فن : "من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع ؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص. "**

**ومن المعهود أن هذا المدح النبوي الخالص لا يشبه ذلك المدح الذي كان يسمى بالمدح التكسبي أو مدح التملق الموجه إلى السلاطين والأمراء والوزراء ، وإنما هذا المدح خاص بأفضل خلق ألا وهو محمد (ص وآله) ، ويتسم بالصدق والمحبة والوفاء والإخلاص والتضحية والانغماس في التجربة العرفانية والعشق الروحاني اللدني.**

**:2 ظهــور المديح النبوي**

**ظهر المديح النبوي في المشرق العربي مبكراً مع مولد الرسول (ص وآله)، وأذيع بعد ذلك مع انطلاق الدعوة الإسلامية ، وشعر الفتوحات الإسلامية إلى أن ارتبط بالشعر الصوفي مع ابن الفارض والشريف الرضي. ولكن هذا المديح النبوي لم ينتعش ويزدهر ويترك بصماته إلا مع الشعراء المتأخرين وخاصة مع الشاعر البوصيري في القرن السابع الهجري الذي عارضه كثير من الشعراء الذين جايلوه أو جاؤا بعده ، ولا ننسى في هذا المضمار الشعراء المغاربة والأندلسيين الذين كان لهم باع كبير في المديح النبوي منذ الدولة المرينية.**

**وهناك اختلاف بين الباحثين حول نشأة المديح النبوي، فهناك من يقول بأنه**

**ــ إبداع شعري قديم ظهر في المشرق العربي مع الدعوة النبوية والفتوحات الإسلامية مع حسّان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة.**

**ــ وهناك من يذهب إلى أن هذا المديح فن مستحدث لم يظهر إلا في القرن السابع الهجري مع البوصيري وابن دقيق العيد**

**3 : مرجعيات المديح النبوي**

**قبل التغلغل في أعماق شعر المديح النبوي لابد أن نستقرىء المرجعيات التناصية المباشرة وغير المباشرة التي شكلت رؤية شعراء هذا الفن وخاصة في القديم والحديث، ولا بد من تحديد المتناص أو المصادر الشعرية القديمة والحديثة التي اعتمد عليها الشعراء في نظم قصائدهم النبوية. فتبيان المعرفة الخلفية ضرورية لفهم النص الشعري قصد خلق انسجامه واتساقه، لأنه بمثابة آلية إستراتيجية في تحليل النص الأدبي وتفكيكه.**

**ويتضح بعد قراءة قصائد ودواوين المديح النبوي عبر تعاقبه التاريخي والفني أنه كان الشّاعر يستوحي مادته الإبداعية ورؤيته الإسلامية من :**

**ــ القرآن الكريم أولاً .**

**ــ فالسنة النبوية الشريفة ثانياً .**

**كما أن هناك مصدراً مهما في نسج قصائد المديح النبوي يتمثل في كتب التفسير التي فصلت حياة الرسول (ص وآله) تفصيلاً كبيراً كما يظهر ذلك جلياً في تفسير ابن كثير على سبيل التمثيل ، وكتب السيرة التي تتمثل في مجموعة من الوثائق والمصنفات التي كتبت حول سيرة الرسول (ص وآله) سواء أكانت قديمة أم حديثة وأذكر على سبيل المثال: "السيرة النبوية" لابن هشام، وسيرة ابن اسحق ، وتاريخ اليعقوبي أحمد بن يعقوب ت 284هـ ،وفي الإرشاد للشيخ المفيد ت 413هـ ، والشّريف الرّضي ت406هـ ، في ، والشّريف المرتضى ت 436هـ في كتابه تنزيه الأنبياء ، والطبرسي ت548هـ في إعلام الورى في أعلام الهدى ، و"السيرة النبوية" لأبي الحسن الندوي، و"السيرة النبوية" لابن حبان، و"الوفاء بأحوال المصطفى" لأبي الفرج عبد الرحمن الجوزي، و"الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض، وموسوعة سيرة المصطفى (ص وآله) 14 ج ، وسلسلة أعلام الهداية (ج1) ، وللشيخ باقر شريف القرشي موسوع بـ 3 ج ، والسيرة المحمدية للشيخ جعفر سبحاني ، وللشيخ محمّد حسن آل ياسين ت 1427هـ له أكثر من منجز في سيرة الرسول الأكرم (ص وآله) ، و"فقه السيرة" لسعيد البوطي، و"فقه السيرة" لمحمد الغزالي، و"السيرة النبوية" لمحمد متولي الشعراوي، و"المنهج الحركي للسيرة النبوية" لمنير محمد الغضبان، و"السيرة النبوية : دروس وعبر" للدكتور مصطفى السباعي، و"نور اليقين" للخضري بك،**

**4 : تطور المديح النبوي في الشعر العربي القديم**

**أول ما ظهر من شعر المديح النبوي ما قاله عبد المطلب إبان ولادة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ شبه ولادته بالنور والإشراق الوهاج الذي أنار الكون سعادة وحبورا، يقول عبد المطلب:**

**وأنت لما ولـدت أشــرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق**

**فنحن في ذلك الضياء وفي النّور وسـبل الرّشــاد نخترق**

**وتعود أشعار المديح النبوي إلى بداية الدعوة الإسلامية مع قصيدة "طلع البدر علينا"، وقصائد شعراء الرسول (ص وآله) كحسّان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير صاحب اللامية المشهورة:**

**بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثــرها لـم يـفد مكبول**

**وقد استحقت هذه القصيدة المدحية المباركة أن تسمى بـ(البردة النبوية) ؛ لأن الرسول (ص وآله) كسا كعب بن زهير ببردته المطهّرة تكريماً للمعاني السّامية الّتي حملتها القصيدة وهي إلى اليوم أخذت مكانة لم تأخذها قصيدة مثل ما أخذتها قصيدة (البردة) وإكراما لشجاعة كعب الّذي أهدر دمه الرّسول (ص وآله) إذ جاء وكلّه أمل بشفاعة النّبي (ص وآله) ، وتشجيعا للشعر الإسلامي الملتزم الذي ينافح عن الحق وينصر الإسلام الّي هو خاتم الأديان ، ونستحضر قصائد شعرية أخرى في هذا الباب كالقصيدة الدالية للأعشى التي مطلعها:**

**ألم تغتمض عيناك ليلـــة أرمدا وعاداك ما عاد السليم المسهدا**

**ومن أهم قصائد حسان بن ثابت في مدح النبي الكريم (ص وآله) عينيته المشهورة في الرد على خطيب قريش عطارد بن حاجب:**

**إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنة للنـــاس تـــــتبع**

**ولا ننسى همزيته المشهورة في تصوير بسالة المسلمين ومدح الرسول (ص وآله) والإشادة بالمهاجرين والأنصار والتي مطلعها:**

**عفت ذات الأصابــــع فالجــواء إلى عذراء منـــزلها خــــلاء**

**ومن أهم شعراء المديح النبوي في عصر بني أمية الشّاعر الفرزدق ، ولاسيما في قصيدته الميمية الرّائعة التي نوه فيها بآل البيت واستعرض سمو أخلاق النبي الكريم وفضائله الرائعة، ويقول في مطلع القصيدة:**

**هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيـت يعرفه والحل والحـرم**

**وقد ارتبط مدح النبي (ص وآله) بمدح أهل البيت (عليهم السّلام) ، وتعداد مناقب بني هاشم وأبناء فاطمة ، كما وجدنا ذلك عند الفرزدق وعند شاعر آل البيت الكميت الذي قال في بائيته:**

**طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب**

**ويندرج ضمن هذا النوع من المدح تائية شاعر دعبل التي مدح فيها أهل البيت قائلا في مطلعها:**

**مدارس آيات خلـــت من تلاوة ومنزل حي مقفـــــــر العرصات**

**ويذهب الشريف الرضي مذهب التصوف في مدح الرسول (ص وآله) وذكر مناقب أهل البيت وخاصة أبناء فاطمة الذين رفعهم الشاعر إلى مرتبة كبيرة من التقوى والمجد والسؤدد كما في داليته:**

**شغل الدموع عن الديار بكاؤنا لبكاء فاطمــة على أولادها**

**ويقول أيضا في لاميته الزهدية المشهورة التي مطلعها:**

**راجل أنـــــــت والليالي نزول ومضر بك البقــاء الطويـــل**

**وللشاعر العباسي مهيار الديلمي عشرات من القصائد الشعرية في الإشادة بخلال الرسول (ص وآله) ) وصفاته الحميدة التي لا تضاهى ولا تحاكى ، ومدح أهل البيت (عليهم السّلام) ، ولكن يبقى الشّاعر البوصيري الذي عاش في القرن السابع للهجرة من أهم شعراء المديح النبوي ومن المؤسسين الفعليين للقصيدة المدحية النبوية والقصيدة المولدية كما في قصيدته الميمية الرائعة التي مطلعها:**

**أمن تذكر جيــــــران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلــــة بـــدم**

**أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من إضم**

**وقد عورضت هذه القصيدة من قبل الكثير من الشعراء القدامى والمحدثين والمعاصرين، ومن أهم هؤلاء الشعراء ابن جابر الأندلسي في ميميته البديعية التي استعمل فيها المحسنات البديعية بكثرة في معارضته الشعرية التي مطلعها:**

**بطيبة انزل ويمم سيـــد الأمم وانشر له المدح وانثر أطيب الكلــــم**

**ومن شعراء المديح النبوي المتأخرين الذين عارضوا ميمية البوصيري عبد الله الحموي الذي عاش في القرن التاسع وكان مشهورا بميميته:**

**شدت بكم العشاق لما ترنموا فغنوا وقد طاب المقام وزمزم**

**ومن الشعراء الذين طرقوا غرض المديح النبوي الشاعر ابن نباتة المصري، فقد ترك لنا خمس قصائد في المديح النبوي كهمزيته التي مطلعها:**

**شجون نحوها العشاق فاءوا وصب مالـــــه في الصبر راء**

**ورائيته التي مطلعها:**

**صحا القلب لولا نسمة تتخطر ولمعة برق بالغــــــضا تتسعر**

**وعينيته التي مطلعها:**

**يا دار جيرتنا بسفح الأجــــرع ذكرتك أفواه الغيوث الهــــمع**

**ولاميته التي مطلعها:**

**ما الطرف بعدكم بالنوم مكحول هذا وكم بيننا من ربعكم ميــل**

**والميمية التي مطلعها:**

**أوجز مديحك فالمقـــــام عظيم من دونـــه المنثور والمنظوم**

**: 5 شعر المديح النبوي في الأدب المغربي والأندلسي**

**إذا انتقلنا إلى الأدب المغربي لرصد ظاهرة المديح النبوي، فقد كان الشعراء المغاربة سبّاقين إلى الاحتفال بمولد النبي (ص وآله) ، ونظّم الكثير من القصائد في مدح الرسول (ص وآله) ، وتعداد مناقبه الفاضلة ، وذكر صفاته الحميدة ، وذكر سيرته النبوية الشريفة ، وذكر الأمكنة المقدسة التي وطئها نبينا المحبوب. و كان الشعراء يستفتحون القصيدة النبوية بمقدمة غزلية صوفية يتشوقون فيها إلى رؤية الشفيع وزيارة الأمكنة المقدسة ومزارات الحرم النبوي الشريف، وبعد ذلك يصف الشعراء المطية ورحال المواكب الذاهبة لزيارة مقام النبي الزكي، وينتقل الشعراء بعد ذلك إلى وصف الأماكن المقدسة ومدح النبي (ص وآله) مع عرضهم لذنوبهم الكثيرة وسيئاتهم العديدة طالبين من الحبيب الكريم الشفاعة يوم القيامة لتنتهي القصيدة النبوية بالدعاء والتصلية.**

**ومن أهم الشعراء المغاربة الذين اشتهروا بالمديح النبوي نستحضر مالك بن المرحّل كما في ميميته المشهورة التي يعارض فيها قصيدة البوصيري الميمية :**

**شوق كما رفعت نار على علم تشب بين فروع الضال والسلـــم**

**ويقول في قصيدته الهمزية مادحاً النبي (ص وآله) :**

**إلى المصطفى أهديت غر ثنائي فيا طيب إهدائي وحسن هدائي**

**أزاهير روض تجتنى لعطـــارة وأسلاك در تصـــــطفى لصفاء**

**ونذكر إلى جانب عبد المالك بن المرحل الشاعر السعدي عبد العزيز الفشتالي الذي يقول في إحدى قصائده الشعرية  :**

**محمد خير العالميــن بأســرها وسيد أهل الأرض م الإنس والجان**

**أما القاضي عياض فقد خلف مؤلفات عديدة وقصائد أغلبها في مدح الرسول (ص وآله) والتشوق إلى الديار المقدسة كما في قصيدته الرائية  :**

**قف بالركاب فهذا الربع والدار لاحـــت علينــــــا من الأحباب أنوار**

**ومن شعراء الأندلس الذين اهتموا بالمديح النبوي وذكر الأماكن المقدسة لسان الدين بن الخطيب الذي يقول في قصيدته الدالية  :**

**تألق "نجديا" فاذكرني "نجدا" وهاج لي الشوق المبرح والوجدا**

**وميض رأى برد الغمامة مغفلا فمد يدا بالتبــــــــر أعلمت البردا**

**ومن الشعراء المغاربة المعاصرين الذين مدحوا النبي (ص وآله) نذكر الشاعر المراكشي إسماعيل زويريق الذي خصص كتابين لسيرة الرسول (ص وآله) تحت عنوان: "على النهج  يعارض فيهما شعراء المديح النبوي. ومن القصائد التي نظمها في المدح نذكر القصائد الآتية :**

**قصيدة "بانت سعاد" التي يعارض فيها قصيدة كعب بن زهير**

**بانت سعاد فما للحزن تمهيــل الدمع منسجل والجسم مهزول**

**قصيدة "البردة يا شاكي البان" يعارض فيها قصيدة البوصيري**

**يا شاكي البان كم في البين من سقم؟ شكواك تنساب لحنا دافــق الألم**

**قصيدة "المرتجية" كما في مطلع قصيدته الجيمية التي يعارض فيها القصيدة "المنفرجة" لابن النحوي :**

**إن ضـــاق الأمـــــر فلا تهج فغدا قد يأتــي بالفـــــــرج**

**قصيدة "في رحاب المدينة" التي عارض فيها القصيدة الهمزية للبوصيري :**

**هاتها، ما للنفس عنها غناء جابني الشوق حين عز الدواء**

**القصيدة "السينية في مدح خير البرية"، التي عارض فيها الشاعر سينية البحتري، ومطلع القصيدة هو:**

**يجهر البين ما تخفى بنفسي فسقاني كأس الشجا بعد كأس**

**قصيدة "كل مديح فيه مختصر" وهي رائية الروي ومطلعها:**

**رأيت كل مديح فيه مختصرا فما تعد سجاياه وتختصر**

**: 7 مضمون قصيدة المديح النبوي :**

**من أهم مميزات المديح النبوي أنه شعر ديني ينطلق من رؤية إسلامية، ويهدف إلى تغيير العالم المعاش ، وتجاوز الوعي السائد نحو وعي ممكن يقوم على المرجعية السلفية بالمفهوم الإيجابي. كما أن هذا الشعر تطبعه الروحانية الصوفية من خلال التركيز على الحقيقة المحمدية التي تتجلى في السيادة والأفضلية والنورانية ، ويعني هذا أن المديح النبوي يشيد بالرسول (ص وآله) باعتباره سيد الكون والمخلوقات، وأنه أفضل البشر خلقاً وخلقةً، وهو كذلك كائن نوراني في عصمته ودماثة أخلاقه ؛ لذلك يستحق الممدوح كل تعظيم وتشريف، وهو أحق بالتمثل واحتذاء منهجه في الحياة، كما أن عشق الرسول (ص وآله) في القصيدة النبوية يتخذ أبعاداً روحانية ووجدانية وصوفية.**

**ويلاحظ على الغزل الموجود في كثير من القصائد النبوية أو المولدية أنه غزل يتجاوز النطاق الحسي الملموس إلى ماهو مجازي وإيحائي. أي ينتقل هذا الغزل من النطاق البشري إلى نطاق الحضرة الربانية.**

**ويسافر شعر المديح النبوي في ركاب الدعوة المحمدية وشعر الفتوحات الإسلامية ليعانق التيارات السياسية والحزبية فيتأثر بالتشيع تارة والتصوف تارة أخرى. ولن يجد هذا الشعر استقراره إلا مع شعراء القرن التاسع الهجري مع البوصيري وابن دقيق العيد. بيد أن شعر المديح النبوي سيرتبط في المغرب بعيد المولد النبوي وشعر الملحون والطرب الأندلسي ليصبح في العصر الحديث شعرا مقترنا بالمعارضة في غالب الأحيان.**

**وعلى أي حال، يتميز المديح النبوي بصدق المشاعر ونبل الأحاسيس ورقة الوجدان وحب الرسول (ص واله) طمعا في شفاعته ووساطته يوم الحساب. وما حب الرسول في القصيدة المدحية إلا مسلك للتعبير عن حب الأماكن المقدسة والشوق العارم إلى زيارة قبر الرسول (ص واله) والوقوف على جبل عرفات والانتشاء بكل الأفضية التي زارها الحبيب أثناء مواسم العمرة والحج.**

**8 ــ خصائص المديح النبوي شكلاً**

**تستند أغلب قصائد المديح النبوي إلى القصيدة العمودية القائمة على نظام الشطرين ووحدة الروي والقافية واعتماد التصريع والتقفية في المطلع الأول من القصيدة.**

**وتتسم القصائد النبوية والمولدية الحديثة ذات النمط الكلاسيكي أو التراثي بتعدد الأغراض والمواضيع على غرار الشعر العربي القديم، والسبب في هذا التعدد هو معارضة القصائد الأصلية كقصائد البوصيري وقصائد ابن الفارض وقصيدة كعب ابن زهير وغيرها. وهذه المعارضة تدفع الشاعر إلى انتهاج نفس البناء والسير على نفس الإيقاع والروي والقافية واستخدام نفس الألفاظ والأغراض الشعرية. ومن ثم، فالقصيدة النبوية تتكون على مستوى البناء من المقدمة الغزلية ووصف المطية ومدح الرسول (ص واله) والتصلية والدعاء والاستغفار والتوبة. وهذا ما أفقد المديح النبوي الوحدة الموضوعية والعضوية على الرغم من وجود الاتساق اللغوي على مستوى السطح الظاهري والانسجام على مستوى العمق الدلالي.**

**وفيما يخص الإيقاع الخارجي، تعتمد قصائد المديح النبوي على البحور الطويلة الجادة التي تتناسب مع الأغراض الجليلة الهامة كالمديح النبوي والتصوف الروحاني والتشيع لآل البيت، لذلك يستعمل شعراء المديح النبوي البحر الطويل والبحر البسيط والبحر الكامل والبحر الوافر والبحر الخفيف. واخيرا البحر البسيط وهو من أهم البحور المفضلة لدى شعراء المديح النبوي ولدى شعراء المعارضة. ومن المعلوم أن البردة التي نظمها الشاعر البوصيري كانت على البحر البسيط، لذلك أصبحت هذه القصيدة نموذجا يقتدى به في الشعر العربي الحديث من قبل شعراء المديح النبوي موضوعا وإيقاعا وصياغة.**

**ومن أهم القوافي التي استعملت كثيرا في الشعر النبوي الميم والسين واللام والتاء والهمزة والجيم. وهي قوافي صالحة وطيعة لرصد التجربة الشعرية المولدية أو النبوية أو الصوفية الروحانية ماعدا قافية الجيم التي تثير جرسا خشنا ونشازا شاعريا.**

**وعلى مستوى الإيقاع الداخلي، فشاعر المديح النبوي يستعمل بكثرة ظاهرة التصريع والتوازي الصوتي والتكرار الإيقاعي والجمع بين الأصوات المهموسة والأصوات المجهورة ، وينسجم هذا الإيقاع الشعري بكامله مع الجو الموسيقي والنفسي والدلالي للقصائد المدحية.**

**وتنهل اللغة الشعرية ألفاظها المعجمية في قصيدة المديح النبوي من حقل الدين وحقل الذات وحقل العاطفة وحقل الطبيعة وحقل المكان وحقل التصوف ، كما يمتاز المعجم الشعري بالجزالة وفخامة الكلمات وقوة السبك ورصانة الصياغة وهيمنة المعجم التراثي وغلبة الألفاظ الغريبة غير المألوفة ؛ لذلك يغلب الجانب التراثي والبيان السلفي (الإيجابي) على هذا الشعر الديني كتابة وتعبيراً وصياغة.**

**ويستخدم هذا الشاعر المادح لرسول الله (ص وآله) الجمل الفعلية الدالة على التوتر والحركية ، والجمل الاسمية الدالة على الإثبات والتأكيد، ونجد كذلك المزاوجة بين الأساليب الخبرية والإنشائية ؛ قصد خلق الوظيفة الشعرية بمكوناتها الإيحائية والمجازية ، وغالبا ما يستوجب مكون السيرة وسرد المعجزات الأسلوب الخبري ، بينما يفترض تدخل الذات وإظهار المشاعر والانطباعات الانتقال من أسلوب إنشائي إلى آخر حسب السياقات المقصدية والوظيفية.**

**ويشغل شعر المديح النبوي الصور الشعرية الحسيّة القائمة على المشابهة من خلال استخدام التشبيه والاستعارة، والاستعانة بالصورة المجاورة عبر المزج بين المجاز المرسل والكناية الإحالية في التصوير والبيان. ويمكن أن تتخذ الصور البلاغية ذات النطاق الحسي طابعاً رمزياً خاصة في المقاطع الصوفية العرفانية ، ويتراوح البديع في المديح النبوي بين العفوية المطبوعة والتصنع الزخرفي في القصائد المدحية البديعية التي نظمت في العصور المتأخرة ، كما عند ابن جابر الأندلسي في ميميته البديعية.**

[**ومن بديع نظم ابن الجنان "القرن السّابع الهجري" هذا التخميس في مدح سيد الوجود النّبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)**](http://www.noorfatema.com/vb/showthread.php?t=36185)

[**ا الله**](http://www.noorfatema.com/vb/showthread.php?t=36185)**زاد محمداً تكريماً**

**وحباه فضلا من لدنه عظيماً   
 واختصه في المرسلين كريماً   
 ذا رأفة بالمؤمنين رحيماً ... صلّوا**[**عليه**](http://www.noorfatema.com/vb/showthread.php?t=36185)**وسلّموا تسليماً   
 جلّت معاني الهاشمي المرسل   
 وتجلّت الأنوار منه لمجتلي   
 وسما به قدر الفخار المعتلي  
 فاحتل في أفق السماء مقيما ... صلّوا**[**عليه**](http://www.noorfatema.com/vb/showthread.php?t=36185)**وسلموا تسليماً  
 حاز المحامد والممادح أحمد**